

كذلك اذا دخلتم عرسا وكنتم حزاني تبدل حزنكم بسرور  
وطرب فاكتفوا الآن بهذه وسأزيدكم غداً بيانا فقد أرف  
وقت الفراق فانهبوا مساء وبعدنا هنا غدا كما كان بالأمس  
واليوم فشكروا له أيضا حاته وتقدم منه فريد ووضع  
في يده بعض الشيء فشكر وحييا وقام

## الفصل السابع

إن سنن الطبيعة هي واحدة في الممالك الثلاث

تناول الشيخ عصاه وقام متوكئا عليها وولى وجهه  
هذه الليلة شطر المدينة ولما ابتعد قليلا قال تجيب لفريده  
عسى أن لا تكوني حاقدة علي وعلى فريد لدخولك مدرستنا  
فاذا كان ثمة حقد فيجب أن يكون علي فقط لأن فريدا لم  
يفعل إلا ما أوحيت به فنظرت اليه فريده فرأته باسمافسامت  
أنه إنما أراد المداعبة والمزاح ولا غرو فإنه كان يعرف عن  
فريده رغبته بالبحث وشغفها بمثل هذه المواضيع وتفضيلها  
لها على أي شيء آخر فأجابته قائلة قبل أن أجيبك قل لي  
كم الساعة الآن فنظر الاثنان الى ساعتيهما وكانت الساعة

التاسعة فقالت هيا بنا ولنسرع لأن وقت العشاء قد حان  
والجميع في البيت ينتظرون قدومنا فلنذهب اذا شئنا ولا  
داع الا للاح فناً كل عندنا سوياً وهكذا يمكننا تمضية بقية  
السهرة في متابعة دروسنا . اليس كذلك؟ قالت هذا ونظرت  
الى نجيب ثم قالت ومن هنا تعلم اذا كنت حاقدة او مسرورة  
أما اذا كنت لا تريد ألا أن تسمع كلمة الشكر مني فأني  
أهديكها لا بل أهديكها أياها بكل اغتباط وسرور ضحكك  
الثلاثة لهذا وقبلنا صاحبانا الدعوة فركبوا إحدى العربات  
تقاهم الى منزل فريدة فجلست فريدة في الوسط على عيني فريد  
وجلس نجيب بجانبها يقبها بكل اهتمام ليرى ما يبدو على وجهها  
ووجه فريدوها يقرب بعضهما من التأثيرات بدون أن ينتبها  
اليه لأنهما كانا غارقين كل منهما في ما كان يفكر فيه

سارت العربية بسرعة وهم على هذه الحال حتى وصلت  
الى أول الجسر فتنبه فريد حينئذ ونظر إلى الماء وكانت الحالة  
كما كانت يوم النزهة من بضعة أيام فتذكرها ونظر إلى فريدة  
ونظر الى نجيب وتبسم وقال سبحان من يغير ولا يتغير  
فأجابته فريدة لفورها وكانت كأنها أفاق من سباتها صدقت

سبحانه على كل حال ثم صممت قليلا واحمرت وجنتاها لأنها  
ذكرت وجودها مع ذلك الرجل يوم رآها فريد ولم تره ولا كتبها  
لم تلبث حتى عبست وبانت عليها ملامح الجذ والعزم وقالت  
قل لي يا فريد أين كنت يوم الخميس في مثل هذه الساعة  
قالت هذا بلاهجة الأمر المستعلم فخر فريد في أمره لهذا  
السؤال ونظر إلى نجيب مستفهما مستنجدا وسكت فلحظت  
فريدة عليه حيرته وارتباكها فقالت لماذا لا تجيب على سؤالي  
فإن الأمر له علاقة بما سمعنا الآن من الايضاح فقل لي  
ولا تتردد حتى ولو كان هناك ما يدعو الى الكتمان والمجاملة  
أو الخجل فنظر فريد الى نجيب ثانية وقال ما رأيك يا نجيب  
في سؤال فريدة فأجابه نجيب وقال تكلم يا أخي بالحقيقة يجب  
أن تقال ولو جرحت وفريدة أعقل من أن تجرحها بالحقيقة  
ونحن الآن هنا نتكلم بالروح والروح ليس لها جنس فهي  
لا ذكر ولا أنثى فقال فريد اذن فلنترك المجاملة والخجل لقد  
كنا هنا يا فريده لا بل كنا في أحد القوارب ننتزه في  
النيل نروح ونجبيء أمام هذا المكان فاجهر وجه فريده أولا  
ولكنها تملكك نفسها وتبسمت وقالت أنت ومن؟ قال

نحن الاثنان نجيب وأنا فقالت أذن لقد رأيتاني؟ فقال نعم  
لقد رأيتك لابل رأينا كما فقالت كفى لقد فهمت الآن سر  
انزعاجي تلك الليلة وهذا ما كنت أريد معرفته لقد صدق  
الشيخ فيما قال فان تلك الليلة قد التقطت جميع ما وجهت  
الي من التأثير لان انزعاجي كان لدرجة قصوى حتى غيرني  
من حال الى حال فثقت بأن جميع حبي الماضي لك قد تحول  
الى صداقة خالصة لقد خنقت الصداقة الحب فتمت به  
وتقوت بما تغذت من أشلائه كما يتقوى الانسان الضعيف  
بما يأكل من لحم حمامة أو حمل فقال نجيب وهذا دليل على  
تجانسك مادة وروحها ولولا ذلك لا تقاب الحب الى بغض  
شديد قتال لان الضعيف اذا أكل لحم الافعى بدل الحمامة  
والحمل مات بدلا من أن يتقوى

وصلت العربية الى منزل فريدة فنزل الثلاثة ودخلوا  
البيت فوجدوا الجميع على وشك تناول الطعام فسار الكل  
الى قاعة الأكل فتمشوا وتسامروا قليلا ثم خرجوا الى  
الجنينة طلبا للنزهة يمشون بين زهورها وأشجارها كل  
مع من طابت له مسامرتة من الحاضرين أما فريدة ونجيب

وفريد فقد انفردوا لوحدهم يتابعون حديثهم وفيما هم  
كذلك ابتعدت فريدة قليلا وأسرت الى مكان مخصوص في  
الحديقة حيث كانت منذ مدة زرعت زهرة نادرة كان أحد  
أصدقائها أهداها اليها ثم عادت كئيبا لأن تلك الزهرة  
كانت قد ذبلت وتلاشت بما نبت حولها من الأعشاب  
الأخرى شعرت فريدة بعد ذلك بألم في رأسها فاستأذنت  
من صاحبها ودخلت حجرة نومها بعد أن اتفقت معها  
على المقابلة لميعاد الغد كان دخول فريدة حجرتها كمنبه للقوم  
للذهاب فانفرط عقد الحاضرين وذهب نجيب وفريد مع  
من ذهب كل منهما الى منزله حيث أن الليل كان قد انتصف  
في اليوم التالي اجتمع اصحابنا الثلاثة وساروا للقاء  
الشيخ فمروا في طريقهم وسط الحديقة الكبيرة وكان  
الناس ذرافات يروحون ويحيثون في مماشيها وقد جلس  
بعضهم على الخضرة تحت ظل الأشجار وبعضهم نام في  
الشمس وكانت الطيور تحوم هنا وهناك فوق الناس تحط  
قارة على الارض وطورا على الأشجار فتلتقط شيئا ثم ترتفع  
وكان بعضها يتنقل من جهة الى أخرى ومنقاره بالأرض

يبعث عن الديدان ليقتات بها وكان البستانيون منهمكين  
كل في عمله في خدمة الحديقة فمنهم من كان يقتلع الأعشاب  
من بين الزهور ومنهم من كان يروي الأرض ومنهم من  
كان يحرقها وكان البعض يسمد بعض القطع لأعدادها  
للزرع وبعضهم يلقي البذور أو ينقل النبات من مكان  
إلى آخر

مشى أصحابنا وسط هذا كله وهم صامتون يفكرون  
فيما يرون ولسكنهم لم يلبثوا حتى استوقف انظارهم بعض  
المشاهد إذ كان أحد البستانيين قد تسلق نخلة شائخة وكان  
بيده شيء أخذ ينفضه على ما كان عليها من الحمل فقال  
فريد انجيب أنظر يا أخي إلى جشع الإنسان فإنه يريد  
أن يحصر كل شيء فيه ويحرم غيره حتى من قوته فما أنا  
نراه وقد ركب الأخطار وتسلق هذه النخلة العالية يرمي  
على حملها من المواد ما تعافه بقية الطيور والحوانات ليحفظه  
بجملته لنفسه ويجنيه كاملاً حين نضجه فأجابه نجيب وقال  
إني وإن كنت أوافقك تمام الموافقة على ما يختص بالجشع  
الإنساني إلا أن ما يفعله هذا الرجل الآن فوق النخلة ليس

هو ما توهمت بل انه انما يقوم بعملية التلقيح فان ما تراه  
في يده ينفضه عليها ما هو الاجنبي نخلة ذكر جاء به هذه  
النخلة الأثني ليثبت وينمي وينضج به ما عليها من الحمل  
فتمجب فريد من هذا وقالت فريده هل يوجد ايضاً بين  
النبات ذكر واثني سبحان الله ان هذا اعجيب غريب  
فأجابها صوت من ورائها وقال نعم ولكن ليس في الطبيعة  
شيء غريب بل ان الغرابة تظهر لمن لا ينظر الا للظواهر  
فقط فالتفت الجميع الى الورداء فرأوا الشيخ واقفا خلفهم  
وقد كان في الحديثه حينما دخاوها فرأهم ذاهبين الى  
المتعد المعلوم فتبعهم دون أن يروه ولم يشأ باديء بدء أن  
ينبههم الى وجوده لئلا يمكر عليهم صغورهم ويضايقهم  
بوجوده معهم فسار وراءهم كظلمهم حتى وقفوا تجاه النخلة  
وكان من حديثهم ما كان ففرحوا بهذه المباغطة وحيوه  
بكل احترام فرد عليهم التحية باحسن منها واعتذر لهم عن  
مقاطعتهم الحديث ثم تابعوا السير جميعا وتابع هو الكلام  
قائلاً .

أعلموا يا أولادي أن سنن الطبيعة هي واحدة في

جميع أجزاء الكون كما هي واحدة في الممالك الثلاث وهي تسير على نظام أثبت من الثبات وتنفذ بدقة تامة ولو اختلف شكل التنفيذ لأن الأصل واحد فالسببي والأيجابي هما في كل شيء يتجهان بما تفرع عنهما من الوحدات التي لا تمد ولا تحصى فيتأثران بفروعها دون أن يختلفا بالجمع وعلى قدر التأثير تتغير الظواهر فيأخذ هذا من ذلك وذلك من هذا فيتغير الآخذ والمأخوذ منه ويتحول هذا من شكل إلى أشكال أو من وحدة إلى وحدات وذلك من أشكال إلى شكل أو من وحدات إلى وحدة للناظر ولكن الأصل باق لا يتغير مثل الماء سائلا ومتجمدا وسحبابا

بجامع الحيوان اثناء فيتولد منها حيوان فيعطيان ويأخذان ويتغير الشكل مظهرا رويدا رويدا حسب التأثيرات الكلية والجزئية الأرضية والجوية التي تؤثرها أرضنا على موجوداتها واجزائها وحسب التأثيرات والعوامل التي تتأثر بها أرضنا من العوامل والأفلاك والكائنات الأخرى كما نراه ونشعر به من تأثير الشمس والقمر مثلا علينا وعلى أرضنا وعلى ما فيها وما عليها وما الجاذبية سوى تأثير تجانس

العناصر بعضها على بعض ليلتحق كل عنصر بعنصره والغلبة  
للأقوى ترمي قطعة خشب من علو وهي بشكها هذا عنصرها  
الترابي الغالب فتقع مجذوبة على الأرض ولكن إذا حلت  
بالحرق فالهواء الذي فيها يذهب مع الهواء وماؤها يتبخر  
والنار التي فيها تلتحق بعنصرها حتى إن ترابها الذي هو الرماد  
يضيع من مناعته النسبية أمام بقية العناصر فيتغلب الريح  
عليه فيجذبه إليه ويطير معه وعلى هذا أقول لكم إن لا شيء  
يخلق نفسه ولا شيء يفنى بل إن الكُل موجود والكل  
باق غير أن المظاهر تتحول وتختلف وتتغير

لقد قال الكتاب لا شيء جديد تحت الشمس لأن  
التحول عام شامل قصرت مدته أو طالت قالوا أن التاريخ  
يعيد نفسه بما يختص بالحوادث وأنا أقول لكم أيضاً أن  
الطبيعة أصل الحوادث تعيد أيضاً نفسها لأن سننها واحدة  
في الممالك الثلاث كما أن أصلها واحد فما هو حاصل الآن  
على كرتنا الأرضية حصل قبل ذلك ما يشابهه في القمر أو  
في الاجرام التي سبقت الأرض في تكوينها وصلاحتها  
للحياة النباتية والحيوانية كما أن حالتها الآن سوف تتبدل

وبما فيها وبما عليها الى شكل أو أشكال أخرى بما سيطراً  
عليها من عوامل التأثير نعم هذا لا بد له من زمن ولكن  
الزمن ليس موجوداً في الطبيعة أي في الأصل لأن الأصل  
أبدي أزلي سرمدي والزمن هو فقط للزائل المحدود يختلف  
قلة أو كثرة حسب قلة أو كثرة الشيء ومناعته الوحدانية  
وسوف يأتي زمن تكون فيه أرضنا في حالتها كما هي الحال  
الآن فيما سبقها من الأجرام نسبياً

وصل الجميع الى حيث المقعد الخشبي موضع الاجتماع  
فصمت الشيخ وجلس الجميع بجانبه وبقي هنيهة صامتاً ناظراً  
أمامه كأنه يستوحى الوجود ثم عادو الكلام قائلاً إنكم  
لو نظرتهم بأنعام وتفكر الى ما شاهدتموه الآن يجري في  
الجنينة حيث مررتم والتقينا تجلت لكي أسرار وسنن الطبيعة  
بأجمعها فيمكنكم تطبيقه على ما سبق فشرحتهم وعلى  
ما سوف تسمعون : لقد رأيت الطيور تنقد الديدان من  
الأرض لتقتات بها والناس تنظر اليها فكأنها عرفت أن  
الإنسان يحميها ويعاونها على عملها هذا واذا تسألنا عن  
سبب سكوت الانسان أجانبا الواقع بأن الديدان التي

تلتقطها هذه الطيور هي مما يزاحمه على زرعه فرأى في هذه  
الطيور عوناً له على التخلص من مزاحم حال كونه في ظروف  
أخرى نراه ينقض على تلك الطيور فيقتنصها ويقتات باجمها  
ويدثر بريشها ويتزين به فهذا المظهر يمثل الحياة الحيوانية  
وهو يعم جميع أجناسها من الميكروب الصغير الذي لا يرى  
إلا بالمنظار إلى الفيل العظيم ومن الدودة التي ليس فيها من  
الروح سوى الروح المحركة إلى الإنسان ذي الروح الراقية  
المختزعة فما هو الفرق ياترى بين هذه الطيور تحط فتلتقط  
تلك الديدان فتقتات بها وبين الإنسان يصطاد الأسماك  
ويقتنص الغزال ويرمي الطير بنباله ورضاصه ويدبح الغنم  
والبقر والماعز لياً كل لحمها ويستعمل بقيتها في منافعه؟  
ما الفرق ياترى بين هذه الديدان وهذه الطيور وبين الطيور  
بعضها مع بعض فينقض الباشق فيأكل العصفور وبين  
الحيوانات أيضاً بعضها مع بعض فيهجم الذئب على الغنم  
والأسد على البقر والثعالب على الفرخة فيقتات هذا من  
ذاك وذاك من هذا ما الفرق ياترى بين الإنسان يطارد  
الوحش فيقتله ويظفر الوحش به فيأكله لا بل ما الفرق

بين الحيوانات تأكل بعضها بعضاً وبين الإنسان في قبائله  
المتوحشة يأكل أيضاً بعضه بعضاً ما الفرق أيضاً بين  
الإنسان يأكل لحم بعضه كما كان قديماً وكما هو الآن باقياً  
ليومنا هذا في بعض القبائل المدعاة غير المتمدنية وبين  
الإنسان الحالي الراقي المتمدن يفتك بعضه ببعض بما يسره  
بينه من الحروب الطاحنة ويستعبد قوياً ضعيفه منمقاً لذلك  
ما يحلوه له من الألفاظ من استعمار أو حجة أو رقابة وانتداب  
أليس أصل هذه الأعمال واحد؟ إن الطبيعة واحدة في  
الإنسان والحيوان في جميع أجناسهما وما التمدن سوى طلاء  
يغطي مظاهرها ويختلف كثافة باختلاف درجة الفرد أو  
المجموع في التعليم أو التقليد أو الأخلاق المكتسبة والراقي  
يدوم هذا الطلاء طالما لا يمس الأصل حتى إذا ماس هذا  
ثار ثائر ونفض عنه ذلك الغبار المغشى وتجلي بحقيقة طبيعته  
فلا تغتروا يا أولادي بالمظاهر فإن الطبع غالب والتطبع مغلوب  
فتبسم فريد وقال لقد صدق شيخنا وقد ذكرني هذا البيان  
بقصة قرأتها أخيراً: قيل أن ملكاً من الملوك كان له وزير حازم  
مجرب فكان يصدر عن رأيه ويعرف اليمن في مشورته

ثم أنه هلك ذلك الملك وقام بعده أبوه فمجب بنفسه واستبد  
برأيه فقيل له أن أباك كان لا يقطع امرا دونه فقال كان أبي  
يغلط في ذلك ولسكن سأمتحنه بنفسه فارسل اليه وقال  
ايهما اغلب على الرجل الطبع أو التطبع فقال له الوزير الطبيعة  
أغلب لأنها اصل والتطبع فرع فدعا بسفرته فلما وضعت  
اقبلت سنانير بايديها الشمع فوقف حول السفرة فقال  
الملك للوزير اعتبر خطاك وضعف مذهبك متى كان ابو  
هذه السنانير شماعاً فسكت عنه الوزير وقال امهاني في  
الجواب الى الليلة المقبلة فقال ذلك لك نخرج الوزير فدعا  
بغلام له فقال الشمس لي فأرة واربطها بخيط وجثني بها  
فاتاه بها الغلام فمقد الخيط في زر ثوبه وطرح الفأرة في كه  
ثم راح من الغد الى الملك فلما حضرت سفرته اقبلت السنانير  
بالشمع كالعادة فاخرج الوزير الفأرة من كه ثم القاها  
اليها فتسابت السنانير اليها ودمت بالشمع حتى كاد البيت  
يضطرم ناراً فقال الوزير كيف رأيت غلبة الطبع على التطبع  
ورجوع الفرع الى اصله فقال الملك صدقت فقال له الشيخ  
بارك الله فيك يا فريد هذه أيضاً حكاية تفهمكم أن لا فرق

بين هذه السنانير حملة الشموع على مائدة الطعام وبين  
الشعوب الانسانية في مقرراتها على مائدة السياسة فكم  
أبرمت من موثيق وقففت حينما بموجبها وقفة زينت بها  
المظهر الانساني الراقى ولكنها تحولت عنها حالما ظهرت  
لها فائدة المنافع فأحرقت وخربت وقلقت وشنت ولم تبالي  
بما سنته من الشرائع وبما وضعته من القوانين وبما حالته  
وبما حرمة وبما أدعت نزوله وحيابله سارت في طريقها  
لا تبقي ولا تذر ولم تقف الا عندما صدمها حائل تقوى عليها  
فلم تستطيع إقتحامه فسكن ثأرها منلوبة من القوة  
المصادمة الطبيعية ولم تكن من قبل لتوقفها العوائق  
التطبيعية فاني قد قلت لسكم وأعيد القول بأن الغلبة فقط  
للقوة ولو اختلفت مظاهر القوة لأن القوة هي الطبيعة وهي  
أصل التأثير ولهذا فقد جاء بالكتاب الكريم من له يعطى  
ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه ماله لان الضعيف من  
الكائنات يجذب به الاقوى اليه فيضمه بطرق شتى ويحوله الى  
مظهره تبعا لسنة التأثير ويبقى المظهر الجديد شاملا الى أن  
يتحول الى مظهر آخر لان العوامل المكونة بقوة

حركتها الدائمة هي نفسها المحولة وهكذا الى ما لا نهاية له.  
انظروا يا أولادي الى هذه العناكب والى شباكها  
التي تحيطها على هذه الشجرة فوقنا من نسيجها لتصيد بها  
الذباب قوتها ليست هي مثل هذه الشباك التي بيد هذا  
الصياد أمامنا يلقبها في الماء يصيد بها الاسماك أوليست هي  
أيضاً مثل تلك الشباك الشائكة التي يصنعها الانسان في  
في حرابه الان ليمنع بها أعداءه من الدنو اليه  
ترك الناس تلك الطيور تنقد تلك الديدان لأن الديدان  
تضر بزرعهم ولكن لو كانت سقطت أفاحة أو ثرة مما  
يطيب لهم أكلها فهل كانوا يتركونها لتلك الطيور أو يتركون  
الطيور تقر بها؟ كلا ثم كلا ولكن تلك الديدان نفسها سوف  
تقتات بدورها من تلك الطيور ومن الانسان أيضا الذي لم  
يدافع عنها طبعا لسنة التبادل فالسابي يثأر لنفسه من الايجابي  
والايجابي يثأر لنفسه من السابي. يتوالد الحيوان بمجامعة ذكره  
لأنثاه لا فرق في ذلك بين طير السماء وسمك البحار ووحش  
البر وكل ذي نسمة حية كما يجري بين الرجل والمرأة لا فرق  
في الاصل البتة بين هذا وذاك فالذكر الزارع والانشى الارض

المنبته وهو بالنسبة اليها يمثل العنصر السلبي وهي بالنسبة  
اليه تمثل العنصر الايجابي وباجتماعهما يظهر في الوجود آخر  
بشكله المعلوم وهو في الوجود من قبل ومن بعد فيسير  
سيره تتجاوزه العوامل الاخرى من بقية الكائنات تحت  
نظام التأثير والاختذ والمطاء فيأخذ منها ويمطئها ويتأثر  
بها وتتأثر به الى أن يتبدل ذلك الشكل ليأتي شكل آخر  
وهكذا الى ما لا نهاية له

هذا فيما يختص بالملكة الحيوانية وهو عين النظام  
الذي يتمشى عليه النبات والجماد لقد شاهدتم البستانيين  
يقطف بعضهم الاعشاب من بين الزهور ليعبد عنها مزاحمها  
يمتص من خواص الارض ما لو بقي لها وحدها لامتصته  
هي فنمت وتقوت وأتت بمحصول كثير أخليت الارض  
لتلك الظهور فنمت وأزهرت كثيراً واسكنها في سيرها  
هذا لم تخرج عن سنة التأثير والتبادل خلصها الانسان من  
مزاحم فامتصت قوته فازدادت نموا وأخذ الانسان من  
زهورها مقابل تمبه لها تأثرت قوتها بما امتصته من المواد  
النموية فنمت بزيادة ستدفعها من ضعفها في السنين المقبلة

إذا لم يتداركها عامل غير اعتيادي يمنع ذلك الضعف ليثبت  
توازن ذلك النمو لأن من قاوم الطبيعة صرعته الطبيعة لأنها  
هي الأصل وهي المتبوع وكل شيء لها ولا أحكامها تابع فن  
خالف سننها ولم يمشها لا يطول أمده وهذا سر ما رأيتموه  
من قبل البعض الآخر من البستانيين إذ كان بعضهم منهمكا  
في تسميد الأرض وبعضهم في نقل النبات من مكان إلى  
آخر وفي حرث بعض قطع من الأرض ووري بعضها فعملهم  
هذا هو ذلك العامل الغير الاعتيادي الذي لولاه لوقف  
ذلك النمو وتحوّلت قوته إلى ضعف وهو عمل تساوى  
فيه النبات والجماذ فالو لم ينقل النبات من مكانه إلى مكان  
أصلح به من الخواص المنمية ما ليس يوجد في مكانه حيث  
كان لما نما وتزعرع . ولو لم تسمد الأرض وتحرث وتروى  
لأعطائها من الخواص عوض التي فقدتها باجتهادها بالزرع  
لما كانت أخصبت وهكذا فهي أعطت وأخذت وأخذ  
النبات فأعطى وأعطى الإنسان فأخذ وبهذا عمت هذه السنة  
الملك الثالث . أجابت فريدة وقالت ولكن لو لم تسمد  
الأرض وتروى وتحرث لكانت أيضا أمت تلك النباتات

فازهرت زهورها فجناها الانسان دون تعب أجابها الشيخ  
وقال اعلمي يا بنيتي أن ذلك الأتداء كان يكون في هذه  
الحالة نسبيا على قدر ما كان بقي في الأرض من المواد المنخضبة  
وما تكون أخذته في تلك الفترة طبيعيا عاديا لأن ذلك  
العامل الغير عادي الذي به استغلت الأرض فأنمت النباتات  
يجب حتى يبقى ذلك الخصب وذلك النمو محفوظا ان يقابل  
بمعامل غير عادي أيضا وفي هذا يتساوى أيضا الحيوان بجميع  
أجناسه فالانسان او الطير أو الوحش أو السمك الذي  
ينمو نمواً منتعلا لا بد ان يعقب نموه هذا رد فهل يظهر  
بتوقف ذلك النمو أو بانحطاطه اذا لم يدعم بمعامل منتعل آخر  
خذى يا بنيتي نفسك مثالا ولنقل أن قواك تمكنت من الذهاب  
مشيا من البيت الى الاهرام مرة في اليوم ولكنك اذا  
اجهدت نفسك وذهبت مرتين فهل يمكنك في اليوم  
الثاني أن تذهبي كما كنت تذهبين من قبل دون ان تعوضى  
ذلك الاجهاد أما براحة أزيد من قبل أو بأكل أكثر  
تغذية من قبل أو بتناول اي مقو يعيد لك قواك التي  
فقدتها بذلك الاجهاد؟ اقول لك كلا فانك ان لم تستمضي

عن المرة الزائدة بأي عامل آخر فأنتك لا يمكنك الذهاب  
في ذلك اليوم كما كنت تذهبين من قبل كما هي  
الحال مع تلك الأرض وتلك الزهور لأن السنة واحدة  
فكما أن الجمل إذا حملته فوق طاقته رزح تحت الحمل كذلك  
قطعة الحديد أو الخشب تنكسر أو تلتوي إذا لم تدعم وتثقب  
تشاهدون بين الحيوان أن هذا الصنف الذي يعيش في  
تلك البقعة أو في تلك القارة هو أقوى أو أضعف من ذلك  
الذي يعيش في غيرها كما انكم ترون هذا أيضاً بعينه بين النبات  
وبين الجماد فكم نسمع البائع يقول بسوسي يا شمام بلدي  
يا برتقال حتى يظهر افضلية مأمه على غيره وكم نلاحظ ان  
سكان الجبال هم أقوى بنية من سكان السهول مثلاً وسكان  
الارياف هم أقوى واصح جسماً من سكان المدن وان هذا  
الصنف من الحديد او الفولاذ او الفضة والذهب أو اي  
معدن آخر يختلف باختلاف البقعة التي استخرج منها أفليس  
هذا كله منشأه سنة التأثير التي تعم الممالك الثلاث ؟

فقال نجيب لقد حل لي الشيخ بما ابانه الآن عقدة  
ظالما حاولت حلها فلم اتوفق لما كان يعترضني من المتناقضات

اذ كنت عند ما أتعب من البحث فيها بلا جدوى مقنعة  
أنسبها الى عمل سماوي لغاية مجهولة

لقد قال الكتاب الكريم أن الاسرائيليين عند  
خروجهم من مصر وعلى رأسهم موسى الحكيم ذلك الرجل  
العظيم الذي أخذ العلم والحكمة على كهنة مصر ففاقهم جميعاً  
وأتى بمعجزات أذرت بجميع ماعملوا قد تاهوا في بيرة سيناء  
أربعين سنة وفي موضع آخر يقول الكتاب ان موسى هرب  
بعد قتله المصري الى تلك البقعة نفسها فعاش فيها العشرين  
سنة ومنها تزوج فعرفها طبعاً وعرف كل مجاهلها فهل يعقل  
يا ترى أن رجلاً مثل هذا وقد تصدى لخلاص قومه من رق  
العبودية وقاد ذلك الشعب بأكله رجالاً ونساءً شيوخاً  
وأطفالاً يأتي الى ذلك المكان فيتيه فيه ولا يهود يعرف منه  
له مخرجاً طول هذه السنين؟ أمام هذا كنت أقف حائراً  
لا أجد لهذه العقدة حلاً موقفاً معقولاً فكان فكري  
أمامها يصعب تبيهاً يتيه فيه عقلي أما الآن فأرى أن موسى  
وقد كان توفق لتنفيذ الشطر الاول من خطته وعرف  
كيف يجتاز بقومه في ساعة جزر في بحر القلزم في مكان

يعرفه حق المعرفة ثم يفري عدوه بالحقاق به فيدركه المد  
فيسد عليه السبل فيغرق بخيله ورجله عرف أيضاً أن ذلك  
الشعب الذي خرج به من مصر حيث كان مستعبداً قرونًا  
طويلة سيم فيها الذل والمسكنة فأفقدته الاضطهاد والاحتقار  
مناعته وذاته المعنوية وكل مزية طيبة فتأثرت قواه بذلك  
تأثيراً توارثه أباعن جد فتأصل في جسمه ونفسه وضاعت  
معه كل همة وعزة نفس واقدام لا يصلح في حالته  
الراهننة لمصادمة وقاتل شعوب قوية شديدة المراس  
منيعة الجانب ربيت في الحربة فاضطر الى تأخير تنفيذ  
الشطر الثاني من تلك الخطة المدبرة بأحكام عظيم يليق  
بذلك العقل الذي أبرز أمتن وأحق شريعة عرفت حتى قال  
عن ناموسه السيد المسيح ان السماء والارض تزولان  
وحرف من الناموس لا يزول فعمد الى حيلة هذه فأضاعهم  
حيث قادهم وأبقاهم تلك السنين ليعوض عليهم في حياة البرية  
الحررة ما أضاعوه في عيشة الذل والهوان والاستعباد ليقوم  
مقام هذا الجيل الخامل الضعيف جيل جديد همام قوي  
يصلح للقتال والمقاومة والغزو يستولى به على ما كان يطلب

من البلاد فيخضع به شموها ويطردها منها فيحل محلها فيها  
كما حدث وتحقق فنظر اليه الشيخ وقال صدقت يا بني باستتاجك  
هذا لأن ذلك الشعب كان في حالته مثل تلك الارض المجردة  
التي لا تصلح للزراع قبل أن تسقيها ما فقدته من الخواص  
ومثل ذلك الضعيف الذي اناخه التعب فلم يعد قادراً على متابعة  
السير قبل استرجاع قواه ولا غرو اذا كان موسى عرف  
ذلك لان بعض الحقيقة كان معروفاً لديه ولدى اساطين  
ذلك العصر

فما تقدم يظهر لكم أن السنتين الاصليتين الجامعتين  
الخاضعت لهما جميع ما في الكون هما سنة التبادل أو التوازن  
وسنة التأثير ومنها تفرعت جميع بقية السنن وعليها بنيت  
جميع الشرائع والتحليلات والتحريمات ولا غرو وفيها في الاصل  
مظهر ينبوع العظام الاصيل الفرد فيها السلي والايجابي  
يبدوان بفروعها التي لا عدتها ولا حصرها بأشكال ومظاهر مختلفة  
حتى يتعذر على الناظر اليها معرفة حقيقةتها فيظننها أنها متعددة  
الاصول كما هي متعددة المظاهر والفروع ولكن المتعمق في  
البحث تقل لديه الاصول على قدر ما يقترب من الحقيقة

ويزداد التجانس على قدر التقارب حتى ينحصر في اثنين فقط فيما يختص بالمادة

أفليس مظهر الذكر والانثى الكبير والصغير الحلو والمر الرخص والصلب السائل والجامد البارد والحر الظلام والنور الاسود والابيض يمثل السلبى والايجابى ؟

انظروا الى تنوع النبات واختلاف أجناس الحيوان وتنوع أصناف الجماد وكثرة معادنه وكيف أن كل نوع أو جنس يقاوم الآخر أو يتحد معه أو ينفصل عنه على قدر كثرة أو قلة التجانس بين الاثنين . فان الفضة تتحد مع الذهب حتى كأن الاثنين جسم واحد ولكنها لا يمكنها الاتحاد بهذه الصورة مع الخشب مثلا . واذا صب الرصاص مع النحاس لا يتحد معه كما لو صب الرصاص مع الفضة وهكذا أيضا في النبات فاذا تطعم النخيل بالبرتقال مثلا لا يعيش ويثمر أما اذا تطعم البرتقال بشجر آخر أكثر تجانسا معه اتحد وعاش وثمر وما نراه في الجماد والنبات نراه أيضا في الحيوان فأن الحمار اذا جامع البقرة فهذه لا تحمل ولا تلد أما اذا جامع الحصان الا تان حملت وولدت واذا جامع

الانسان ناقة أو شاة لا تحبل ولكن الفرد اذا جامع امرأة  
لربما حملت وولدت واذا جامع الحيوان الطير فان هذه  
لا تبيض فتفرخ أما اذا جامع ذكر الحمام اثنى طير من فصيلته  
باضت وفرخت

لقد قلت لكم فيما سبق أن العوامل المكونة أو المساعدة  
على التكوين هي نفسها المحولة أو المساعدة على التحويل  
يتساوى أمام ذلك الحيوان والنبات والجماد فيسير الكل  
سيره حسب سنتي التأثير والتبادل . يولد الحيوان من بطن  
أمه صغيراً ضعيفاً فيتقوى بالغذاء والهواء والنور والحرارة  
والماء حتى يصل الى درجة معلومة من القوى ثم يرجع القهقري  
حتى يضعف ويشيخ ويحل به العجز . فيموت هذا اذا لم  
يصادمه طارئ لم يقو على مكافحته والتغلب عليه فيموت  
ويتحلل قيل أو انه وينبت النبات فيسير على الطريقة نفسها  
فيزهو وينمو ويثمر ثم يضعف فيذبل ويبس ويضمحل .  
ويتكون الجماد بجميع معادنه ويسير خاضعاً لذلك الفانوس  
فيتغير ويتبدل ويتحول حسب ما ينضم اليه أو يتفصل عنه  
من المواد والعناصر الأخرى وهكذا دواليك في جميع

الكائنات لأن العناصر الأربعة المتولدة من العنصر الأصيل  
الفرد المكونة هي نفسها المحولة حسب تأثيراتها بعضها  
على بعض أن رأساً أو بما تفرع عنها الأتروون أنه إذا زادت  
الحرارة في جسم حيوان عن المعتاد أو قلت عنه مات ذلك  
الحيوان أو مرض وإذا عرض جسم آخر لأي من العناصر  
أكثر مما يلزم أضربه هذا التعريض وأثره إن قليلاً أو  
كثيراً على نسبة مناعته لأن الأشكال جميعها في مظاهر  
الممالك الثلاث تكونت على نسبة معلومة من كميات معلومة  
فيها بينها فإذا زادت كمية عن نسبتها أو نقصت ابتداء التحول  
والتغير بالشكل .

فأي فرق في الحقيقة بين الصدا الذي يغشى الحديد  
إذا لحقت هذا الرطوبة وبين الزكام الذي تسببه الرطوبة  
لكم فإن الأول لا يزول إلا إذا جلي الحديد والثاني لا يزول  
إلا إذا قاومتهم بالمسخنات أفلا ترون أيضاً أن النبات  
إذا روي بكثرة عما يلزمه أو إذا عطش أضربه ذلك الرى  
وذلك الظماً وأن الحيوان إذا شرب أكثر مما يلزمه أو إذا  
ظمى ظماً شديداً أضربه ذلك الشرب وذلك الظماً كل على

قدر نسبته

قال هذا وهم بالقيام غير ان فريداً استوقفه بقوله له  
ليسمح لنا شيخنا بسؤال عن أمر يشغل بال بعض علماء  
هذا العصر ويشير اهتمام الناس وهو أماكن وجود الحياة  
في بعض العوالم الأخرى مثل المريخ مثلاً وهل في الامكان  
اذا وجدت التوصل للتخاير معها أو التوصل الى الوصول  
منها اليها أو منها اليها فأجابه الشيخ قائلاً اني الآن تعب تلزمني  
بعض الراحة وأرى أن الوقت قد حان فوعد الاجابة على  
سؤالك هذا غداً أن كان في العمر بقية فأنعموا إذا مساءً  
يا أودي .

قال هذا وقام وصالحهم فتقدمت منه فريده ويدها  
صندوق صغير به بعض المأكول وشيء من الحلوى وصرة  
يها قليل من الدراهم وقدمته له راجية قبوله فقنأول تقدمتها  
شاكرامتنا وصالحها ثانية وابتعد